

تفسير أبي السعود

سورة الأنبياء 51 54 ظاهر لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام إياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد أجتئنا بالحق أي بالجد أم أنت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي إيراد الشق الأخير بالجملة الإسمية الدالة على الثبات إيدان برجحانه عندهم قال عليه السلام إضرابا عما بنوا عليه مقالهم من اعتقاد كونها أربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد أصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الأمر كذلك بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وقيل هو إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والأرض وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على أن ها لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية أي أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآبائكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير إلى التماثيل أدخل في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وأنا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين أي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وإثباته بها كأنه قال وإنما ابين ذلك وأبرهن عله وتا١١ وقرء بالباء وهو الأصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الأصل وفيها تعجيب لأكيدن أصنامكم أي لأجتهدن في كسرها وفيه إيدان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وإنما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد أن تولوا مديرين من عبادتهم إلى عيدكم وقرء تولوا من التولى بحذف إحدى التاءين ويعصدها قوله تعالى فتولوا عنه مديرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة أي فولوا فجعلهم جذازا أي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرء بالكسر وهي لغة أوجمع جديذ كخفاف وخفيف وقرء بالفتح وجذذا جمع جديذ وجذذا جمع جذة روى أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدءوا ببیت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع تركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم عليه السلام فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه